البنـــاء
السنة السابعة / الأربعاء / 23 أيلول 2015 / العدد 1891
Seventh year/Wednesday/23 September 2015/Issue No.1891

## هل تتطابق حسابات أردوغان مع حصاد انتخابات تشرين الثاني؟

■ حميدي العبدالله

هدف ثنائي أردوغان – داود أوغلو، بات واضحاً، الحصول على أغلبية مقاعد البرلمان في انتخابات الأول من تشرين الثاني المقبل كي يشكل حزب العدالة والتنمية بمفرده الحكومة التركية التي ستنبثق عن تلك الانتخابات، والمخطط بات واضحاً: تفجير الصراع الدموي المسلح مع الأكراد لخلق مناخ يساعد سياسياً وانتخابياً على بلوغ هذه الغاية، وهذا ما قصده داود أوغلو عندما ربط بين محاربة الإرهاب وبين حكومة الحزب الواحد، علماً أنّ كلّ الدول، سواء كانت ديمقراطية أم لا، تلجأ عندما تواجه تحدّيات بمستوى التحدّيات التي تواجهها تركيا الآن إلى توسيع قاعدة الحكم بالانفتاح على الأحزاب والشرائح الشعبية التي لا تؤيّد الحزب الحاكم، حدث هذا في الدول الغربية، واعتمد هذا النهج ستالين في روسيا في مواجهة النازية، لكن يبدو أنّ لداود أوغلو نظريته الخاصة. لكن هل تنجح رهانات أردوغان وداود أوغلو، وهل يتحقق لهما ما يتطلعان ويسعيان إليه؟

أولاً، مواقف حزب الحركة القومية تشير إلى أنّ الحزب بات يعتمد نهجاً يصعب معه على حزب العدالة والتنمية استعادة الأصوات التي خسرها لصالح هذا الحزب. فمواقف حزب العدالة والتنمية والثنائي أردوغان – داوود أوغلو من الأكراد هي مواقف انتهازية وغير ثابتة، في حين أنّ الجمهور القومي ينظر إلى مواقف حزب الحركة القومية نظرة مختلفة، أيّ أنه على قناعة بأنّ حزب أردوغان ما كان له أن يخرج من العملية السياسية مع الأكراد ويعود إلى المواجهة المسلحة لو لم يخسر أصواتاً ذهبت إلى الحركة القومية عقاباً له على مواقفه من الأكراد، وبالتالي فليس لدى مناصري هذا الحزب، ولا سيما الذين كانوا يصوّتون لصالح حزب العدالة والتنمية ما يدفعهم للعودة إلى التصويت لصالح حزب أردوغان، طالما أنّ حزب الحركة القومية هو صاحب الإنجاز في وقف عملية السلام مع الأكراد التي كان ينتقدها حزب الحركة القومية، وكانت وراء حصوله على أصوات بعض ناخبي حزب العدالة والتنمية.

ثانياً، على فرض أنّ حزب العدالة والتنمية نجح في إبعاد حزب الشعوب الديمقراطية عن الانتخابات، فهذا يعني أنّ هناك مقاطعة واسعة للانتخابات التي ستجري في الأول من تشرين الثاني، وبالتالي لن يحصل حزب العدالة والتنمية على الأصوات الكردية التي كان يحصل عليها في الانتخابات التي سبقت انتخابات 7 حزيران الماضي، أما إذا خاض حزب الشعوب الديمقراطية الانتخابات، فالأرجح أنّ مستوى الالتفاف حوله سيكون أكبر مما كان عليه الحال في انتخابات 7 حزيران، بسبب سياسة الاعتداء التي يتعرّض لها الأكراد.

الأكراد الآن، وما يتعرّضون له من اضطهاد قد يدفع بشرائح كثيرة منهم، ربما تكون على الحياد للوقوف إلى جانب حزب الشعوب الديمقراطية، لا سيما أنّ الأحزاب المعارضة، بما في ذلك حزب الحركة القومية، تحمّل أردوغان وحزبه مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع في تركيا، سواء مع الأكراد أو على مستوى تركيا بوجه عام.

## اليمن يحسم...

بدا للكثيرين من المراقبين مع بدء العدوان السعودي على اليمن أنّ الحوثيين قد فتحوا على أنفسهم أبواب جهنّم، فاليمن ليس سورية حيث تصمد الجماعات المسلحة في وجه جيش الدولة، لأنّ حدود سورية مفتوحة على خمسة اتجاهات من تركيا، ومن الأردن، ومن قوات «داعش» في العراق، ومن حدود لبنان ودعم تيار المستقبل، هذا عدا عن الدعم «الإسرائيلي» المعلن، ومن وراء الحدود إمداد مالي وتسليحي لا ينقطع، عدا عن تدفق المسلحين بعشرات الآلاف من تنظيم «القاعدة»، بينما اليمن محاصر بالسعودية من كلّ اتجاه براً وبحراً وجواً، والسعودية تملك قدرات مالية لا تنضب، وبالتالي لا مشكلة لديها في حشد السلاح والرجال من جيشها ومن جيوش غيرها بقوة هذا المال، وفوق ذلك تحشد الدعم الذي تجلى بقرار من مجلس الأمن لم يستطع الروس منع صدروه، رغم أنّ غطاء الشرعية الذي تستّرت به السعودية يعود إلى رئيس هارب من بلده، ولم يقف يدافع عنه جندي واحد من جنوده حاله كحال زين العابدين بن علي وحسني مبارك، وليس كحال معمر القذافي الذي استُصدر ضدّه قرار برّر تدخل الناتو رغم بقاء جزء من شعبه وجيشه معه، بينما ذهبت السعودية إلى مجلس الأمن تطلب قراراً معاكساً للشرعية يدعو إلى إسقاط الرئيس بشار الأسد وهو الشرعي فعلياً وليس بقياس منصور هادي، وهو الذي وقف معه أغلب شعبه ولا يزال جيشه يقاتل دفاعاً عن شرعيته وعن دولته.

وفقاً لهذه الفوارق التي تظهر قوة السعودية وصعوبة صمود الحوثيين صاغ الكثيرون استنتاجاتهم بأنّ السعودية ستنتصر، وأنّ الحوثيين سيهزمون شرّ هزيمة. دارت رحى الحرب واستخدمت السعودية كلّ ما لديها من قوة، وبطش ووحشية، ودمّرت جسوراً ومنشآت ومدناً ومباني سكنية، وسقط آلاف الشهداء وعشرات ألوف الجرحى، وبقي صمود الحوثيين أسطورياً، وبقيت سيطرتهم على المدن والمناطق التي دخلوها، فأثبتوا انّ من يقاتل معهم ليست عصبية مذهبية بل وطنية يمنية عابرة للطوائف والقبائل والإقليم.

قام السعوديون بإنزال قواتهم وقوات الإمارات مزوّدين بكلّ السلاح من المدرّعات الحديثة ودبابات الأبرامز الأميركية وطوافات الأباتشي ودخلوا مدينة عدن وسط مناشدات للحوثيين بمنح السعوديين فرصة حفظ ماء الوجه لوقف العدوان، فظن السعوديون أنّ جبروتهم ينتصر وتوسّعوا نحو تعز ومأرب وأعلنوا الزحف نحو صنعاء.

منذ شهر والسعوديون يتجرّعون الكأس المرة، فتحترق دباباتهم في كمائن دبابير الكورنت، ويسقط منهم القتلى والجرحى، ويوم تجمّعوا في المعسكرات تفجّرت الصواريخ وسقط المئات قتلى وجرحى في موقعة صفار، وتساقطت الصواريخ البعيدة المدى خلف الحدود وأصابت القواعد الجوية والبحرية السعودية.

التظاهرات التي خرجت في صنعاء بمئات الآلاف تقول إنّ الشعب اليمني بكلّ طوائفه حزم أمره بسلوك طريق النصر، وأنه يقف وراء قيادته في هذه الحرب، وأنّ ما أعلنه السيد عبد الملك الحوثي عن بدء التوغل البري في السعودية يعبّر عن رأيهم ولم ينسوا ولم ينس زعيمهم أنّ العنوان والبوصلة هما فلسطين وأقصاها.

«توب نيوز»

## فابيوس لا يريد اعتذارات

**– عندما تتحوّل فرنسا إلى تابع ذليل لأميركا يصير الفيل يطير.**

**– فيُقال لفابيوس: هل الفيل يطير؟ فيقول هذا سؤال سخيف، فكيف للفيل أن يطير؟ وعندما يُقال لفابيوس إنّ كيري قال إنّ الفيل يطير، يقول هو لا يطير لكنه يرتفع عن الأرض قليلاً.**

**– فابيوس كان مصرّاً على التغريد خارج السرب الأوروبي، فذهب يسوّق دعوة أردوغان للمنطقة العازلة كحلّ لقضية المهاجرين واللاجئين ويشدّد على رفض أيّ دور للأسد.**

**– جاء تصريح كيري المستنسخ عن الكلام الأوروبي الإسباني والنمساوي والبريطاني والألماني عن ضرورة مشاركة الرئيس السوري في الحرب على الإرهاب، أو في الحلّ السياسي، او لا مانع من دور له في المرحلة الانتقالية، أو لا بدّ من رحيله لكن ليس بالضرورة الآن، وكلها ذات مغزى واحد... إعلان فشل الدعوة لإسقاط الرئيس بشار الأسد.**

**– تغيّر فابيوس وقال: ليس الموضوع هو الأسد، بل كيف نحفظ الجيش والدولة في سورية، وبالتأكيد لا نستطيع أن نطلب حلاً سياسياً ونطلب من الأسد اعتذارات.**

**– فابيوس مع حكومة وحدة وطنية لا هيئة حكم انتقالي، وصار الفيل يطير.**

التعليق السياسي

# عورات، عراة، نفايات، إصلاحات...

■ حسين ماجد

عوراتهم كشفت وهم للعيان عراة، لا ظلّ لهم ولا فوح ولا زهر ولا ثمر، أبعدهم الله، انهم نفايات البشر، لم يحجبهم الجدار ولم تحمهم الأسلاك ولم يخفهم الستار، انكسر شرّهم، وساء ذكرهم، وبان كذبهم، وظهر جهلهم.

يأخذون ولا يعطون، يأكلون ولا يشبعون، وخزائنهم يملأون، لا وطن ولا قومية لهم، لا ضمير عندهم ولا قيم، ولا مثل عليا يعتنقون، ألغوا الدستور والقوانين والتشريعات، «فالعمر محتوم والرزق معلوم»، لقد فرزوا الشعب وقسّموه شعباً وشيعاً، وأعلنوا تعففهم عن فرز النفايات «أنا ربكم الأعلى»، «أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري»، «أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي»، و«ذروني أقتل موسى». إنهم طغاة لقد أكثروا في البلاد الفساد فسادوا وساد، ونصّبوا على كلّ مذهب فرعوناً مندمجاً بهارون، وأصبحت السلطة والعسكر في شخص واحد، وقتلوا الشعور بالمسؤولية عند هذا الشعب المستضعف، فأصبح خاملاً، كسولاً، إتكالياً، لامبالياً، كالطفل الذي يفضل الرضاعة على الفطام، ومعظمه يدافع عن الطغيان ويؤيده تحت عنوان الاستقرار والطمأنينة، و«دعوا الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها».

ورضخ الناس كلّ لطاغيته «إذا كان الحاكم عادلاً فله الأجر وعلينا الشكر، وإذا كان جائراً فعليه الوزر وعلينا الصبر».

الناس وقود خلافاتهم، وقدرات الوطن بتصرّفهم، ويستنجدون بالأجنبي لحمايتهم والانتصار على أبناء وطنهم، ويعلنون شيئاً ويضمرون أشياء، إنه طغيان سياسي، مالي، كهنوتي.

والقضية لا تختصر بالنفايات وبالفساد، بل إنها أولاً قضية الاستبداد، إنها قضية العلاقة الربوبية الألوهية مع شعب مستضعف، «أتؤمنون دون أن آذن لكم، لأقطعن أيديكم وأرجلكم... ثم لأصلبنكم». إنها قضية طغيان الأنا على الكل

والفرد على المجتمع، فالأنا هي المفوضة بالكلام واتخاذ القرارات، إنها قضية «اعرف حالك مع مين عم تحكي»، و«اضرب على الأرض وامش»، و«الخطة ستعيش، ستمشي، لا بديل عنها، الخرطوشة الأخيرة إلخ...»، «والمتحاورون

وافقوا عليها وجميع السياسيين أيدوها»، إنها قضية أمراء الطوائف وولاة المناطق، إفتح يا مطمر، وأغلق يا مطمر. خطة

وافقوا عليها قبل أن يقرأوا عنوانها!

رواتب الموظفين مهدّدة، صندوق للإسكان لا قدرة لنا على تمويله، والأهمّ لا منفعة كبيرة لهم فيها، وانهمر الغيث فجأة،

ماية مليون دولار للشمال ومثيلتها للبقاع، للتنمية «المستدامة» وبإشراف ممّن؟ من الهيئة العليا للإغاثة، لأنها ذات اختصاص، اختصاصية تنمية بلا اختصاصيين، وعندها الخبراء الأكفاء المجهولين، إنها خطوة خلفيتها رشوة ونتيجتها حشوة. ورموا الكرة في ملعب البلديات، أعفوها من ديونها «لمن هذه الديون ولماذا؟» وأفرجوا عن أموالها، ولتتحمّل هي وهذا الحراك مسؤولية «النفايات». وقد أعلنوا انّ الحراك الشعبي، يريد «إسقاط النظام» وتصدّوا لبعض المتحمّسين واتهموهم بالتخريب، وهؤلاء الشباب المتحمّسون، قد مارسوا هم أيضاً الاستبداد على الجماد مقابل استبداد قوى الأمن الداخلي على العباد، لقد فهموا أسباب الحراك وأهدافه، «حراك على حق ولكن حذار»، «كانت التظاهرات حضارية»، وهم يعتبرون أوامرهم مطاعة، لأنهم يتملّكون الدولة كلها، لا أيها الطواغيت، إنه نضال من أجل حرية التعبير عن الرأي والديمقراطية، من خلال معاناة ومأساة هذا الشعب في حياته اليومية المعيشية انطلاقاً من رغيف الخبز، وانتهاء بأزمة السكن والنفايات، مروراً بقضايا الماء والكهرباء والضرائب والطرقات.

لقد حاولتم حجب المعرفة وطمس الحقائق، والتشكيك بدوافع أيّ حراك مطلبي حياتي، لقد وعى الشعب ظروفه الذاتية والموضوعية، وتحسّس حاجاته الضرورية، وحدّد أولوياتها المستقبلية.

إنها حركة المستضعفين القادرين الواعين، هي حركة نضال سلمي في بدايتها، هي محاولة بالتي هي أحسن والقول الحق،

إنّ هذا الحراك أيها الفراعنة، هو صرخة من الصمت، ويقظة من النوم، إنه قيم اجتماعية عقلانية إنسانية، تقبلها أهل الحراك بذاتها ولذاتها، ولا تخضع للرأي والرأي الآخر، وهي ثابتة ونهائية، فالصدق فضيلة لا تحتاج إلى بينة، والكذب رذيلة لا تخضع للرأي والرأي الآخر، والوفاء مطلوب عند المحافظ والليبرالي، والغش مرفوض عند المؤمن والملحد، والخيانة

مكروهة من الرجعي والتقدمي، وعند الاشتراكي والرأسمالي، والحرية شعار عالمي، والديمقراطية أساس الدول، إنّ هذا الحراك يهدف إلى بناء هذه القوانين الأخلاقية التي نسفتموها، وحولتم بدونها الديمقراطية إلى طغيان وفساد، وإلى فوضى وديماغوجية، والفساد لا يحتاج إلى ملفات، لقد تبادلتم التهم به وتكرّس معظمه اعترافات، لن ينفعكم إلغاء ديون البلديات ودفع مستحقاتها، ولن يبيّض صفحتكم التوزيع المجاني للكهرباء، ولن يحييكم ما وعدتم به من إنماء، ولن يخاف هذا الشعب من فجور بعضكم محتجاً بالاعتداء على الهيبات والكرامات، وليتذكر هؤلاء قول الإمام علي عليه السلام: «ليس بعاقل من

انزعج من قول الزور فيه، ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه»، و«عجباً لمن قيل فيه الشرّ، وليس فيه كيف يغضب».

وعلمنا التاريخ أنّ أنظمة الدول تسقطها الحروب مع الخارج، وأنتم ستحققون ما عجزت عن تحقيقه الاحتلالات والعدوان، أنتم وطغيانكم وسلوككم وتعنتكم وشهواتكم سوف تسقطون نظامكم المستبدّ، بأيديكم في لبنان، ليت مملكة الإنسان لم تنفصل عن مملكتي الحيوان والنبات، لكنتم تعلّمتم قيم العمل، والحب، والشجاعة، والوفاء، والعطاء، وقيمة حرية وكرامة الإنسان.

معظم البلديات هي الإبن الشرعي لمجلس النواب، بنيات، وذهنيات، وسلوكيات، وقانون انتخاب، وينقصها ما تتمتع به

الحكومة من قدرة ومعطيات وإمكانات، والتخلف لا يحكم بالوكالة، أو بالتجزئة والاستنساب، بل هو شمولي مستبدّ يطرق جميع الأبواب، والظروف المتخلفة تتحكّم بحياة العباد ونمو البلاد.

النفايات احتلت الساحات، وملأت كلّ المساحات، وانطلقت التحليلات والتكهّنات، وتربّعت حول طاولة الحوار القيادات،

واتخذت القرارات، خطة «شهيبية»، والمسؤلية على البلديات.

القضية وببساطة ليست ثورة لإسقاط نظام، ولم تطالب بهدم بنيته أو نسف هذا البنيان، إنها حركة عمل اجتماعي إنمائي إنساني، يؤمّن الظروف الحياتية الملائمة تساعد للانتقال إلى مرحلة أكثر إنسانية، وتلبّي الحاجات الأساسية لعيش حرّ كريم، وحلّ هذه القضية يندرج في ما صلح من نصوص في وثيقة الوفاق الوطني، «الطائف» حين تحدّثت هذه الوثيقة التي

تدّعون حرصكم على تطبيق بنودها، عن «الإصلاحات الأخرى»، ومن هذه الإصلاحات التي إذا ما طبّقت، تؤمّن لنا الظروف

الذاتية والموضوعية لنموّ دائم سليم، ونذكر منها ثلاثة إصلاحات، حسب ورودها في الوثيقة:

3 – إعادة النظر في التقسيم الإداري بما يؤمّن الانصهار الوطني وضمن الحفاظ على العيش المشترك ووحدة الأرض والشعب والمؤسسات.

4 – اعتماد اللامركزية الإدارية الموسعة على مستوى الوحدات الإدارية الصغرى (القضاء وما دون) عن طريق انتخاب مجلس

لكلّ قضاء يرأسه القائمقام تأميناً للمشاركة المحلية.

5 – اعتماد خطة إنمائية موحدة شاملة للبلاد قادرة على تطوير المناطق اللبنانية وتنميتها اقتصادياً واجتماعياً، وتعزيز موارد البلديات والبلديات الموحدة والاتحادات البلدية بالإمكانات المالية اللازمة.

ويمكن أن يُضاف إليها «المجلس الاقتصادي الاجتماعي للتنمية. الوارد ذكره في البند (هـ) من الإصلاحات الأخرى، والذي لم يتمكّن من أداء دوره منذ إنشائه.

ومن المفيد جداً مشاركة الهيئات الشعبية في وضع الأهداف التفصيلية لهذه الإصلاحات، وكيفية تشكيلها، وتحديد مهامها وصلاحياتها وأساليب وأدوات عملها، ولتتحمّل الوزارات مسؤولياتها ولتتغلب على «ضراتها» من مجالس ومؤسسات!

وسنحاول في المقالة المقبلة تقديم مساهمة متواضعة لمقاربة هذه الأمور تحقيقاً لأهدافها الاجتماعية الإنمائية الإنسانية.

# الفارّون من جلودهم

عدنان كنفاني

في أيّ دولة يجري قتال على أرضها، سواء باقتتال داخلي، ما اتفق على تسميته «حروب أهلية»، أو من خلال تعرّضها لحرب من الخارج، يحدث أن تخرج الناس «المدنيين» بحثاً عن مناطق آمنة لحماية نفسها من الموت دون جريرة ارتكبوها، وحماية أسرهم وأبنائهم وما تيسّر من ممتلكاتهم...

وهذه الظاهرة لا تقتصر على منطقة أو دولة بعينها، ولا تنتمي إلى فترة حديثة أو قديمة، بل هي تصرّف شبه فطري يجري في كلّ مكان سعياً للنجاة والسلامة.

ولكن الملاحظ، بل والمنطقي الذي يقبله العقل، والذي يحدث دائماً على الغالب، أنّ هذا «البحث عن الأمان» يضمّ أفراداً وعائلات من كلّ الأعمار تقريباً، مجموعات من الأسر شيبها ونسائها وأطفالها، يخرجون من المناطق الملتهبة، إلى مناطق أكثر أمناً سواء في داخل بلدهم، أو في الخارج، وغالباً إلى دول الجوار، ومن الجدير ذكره أنّ نسبة «الشباب» في هكذا حالات تكون قليلة جداً، وبخاصة الشباب القادر على حمل السلاح، وتقع عليهم مسؤولية حماية بلدهم وممتلكاتهم، وهم الأقدر على المواجهة.

الظاهرة الغريبة، والمختلفة التي نلاحظها في «الحالة السورية»، أنّ العكس تماماً هو الذي يجري، فالغالبية المطلقة من «الفاريّن» هم من الشباب، وهم تماماً في السنّ المثالي الذي يوجب عليهم حماية بلدهم، بينما نجد قلّة من الأسر، ومن المسنّين إلا ما رحم ربي وكانت لهم ظروف استثنائية.

ولنقل أنه من الطبيعي أن يبرّر كلّ من غادر سورية، أو من دفع بمن غادر للخروج من أهله وأقربائه، ويجد سبباً فرض على من غادر أن يغادر، وقد يكون في بعض التبريرات «النادرة جداً» بعض قبول، ولكن هل نستطيع أن نجد مبرّرات لكلّ من غادر الوطن من هؤلاء الشباب، سواء سابقاً، منذ بداية الأزمة، ومن كانوا في مخيمات هُيئت لهم حتى قبل بداية الاقتتال على الجانب التركي في شمال سورية، كانت على استعداد لاستقبال أعداد كبيرة، جلّهم من أسر «العصابات المسلحة»، ممن حملوا السلاح وقاتلوا ضدّ الدولة، وكانت مناطقهم «المدن والقرى السورية» تشكل بيئة حاضنة للإرهابيين، وكانت تركيا على استعداد لاستقبالهم كملجأ حماية لهم، ومن ثم استغلالهم لتنفيذ مخططات أخرى تصبّ دائماً في استعداء الجيش والحكومة والمدنيين في سورية، وتخريب البنى التحتية، وتدمير ما يمكن تدميره من آثار ومعالم، وللأسف كلها تقع تحت عنوان (ثورة)، «وإسقاط النظام في سورية»، وما اتفق حديثاً على إطلاق تسميته موارية (معارضة معتدلة)!

أو لاحقاً ما نراه الآن، بعد صحوة الضمير المفاجئة التي استنهضت مشاعر السيدة أنجيلا ميركل، وصورة الطفل الغريق الملقى على شاطئ بحر تركيا بعد أن لفظه البحر جثة هامدة التي حرّكت «حسّها الإنساني» لتعلن أنّ حكومة ألمانيا مستعدّة لاستقبال اللاجئين السوريين من دون قيد أو شرط، ومن دون تأشيرة دخول وما إلى ذلك من تسهيلات، «وأعتقد أنّ صحوة الضمير المفاجئة هذه لن تدوم طويلاً، وستجد السيدة ميركل نفسها في موقف حرج، ولا بدّ أن يأتي وقت تعلن فيه أيضاً إغلاق الحدود في وجه أي لاجئ»!

إنها ظاهرة «غريبة» تخرج من حكومة ما زالت تناصب سورية العداء، والعرب، والمنطقة بشكل عام، والتي موّلت ودعمت ودرّبت العصابات المسلحة التي تقاتل في سورية، ترافقت صحوة الضمير هذه، ودعوة ميركل المعلنة، بتجاوب «ضمني» من تركيا لتفتح مخيمات اللاجئين السوريين في أراضيها، وتقذف بهم إلى أوروبا زرافات، وفي هذا السلوك خفايا أخرى لا مجال لذكرها في هذا العرض، ولا مجال أيضاً لذكر الأسباب التي دعت السيدة ميركل لإطلاق دعوتها في هذا الوقت بالذات، ولو أنّ أول الأسباب محاولة «تفريغ» سورية من شبابها بالترغيب الفاضح!

عشرات الألوف من الشباب، وأركز على كلمة شباب، جلّهم في سنّ خدمة العلم، أو في سنّ الاحتياط، ولا أجد لمغادرتهم سبباً مقنعاً غير أنه هروب من خدمة، وخوف من موت محتمل، أو أنهم ممّن شارك في استعداء الدولة، أو شكل بيئة حاضنة للقتلة كما أسلفنا! أما «ادّعاء» مبرّرات أخرى فلا يمكن أن ترقى للقناعة... من يدّعي فقراً وجوعاً ومن يدّعي ندرة فرص العمل ومن يسعى لتأمين سبل الحياة، وهذه كلها أسباب، وإنْ كانت في المنظور العام معقولة، إلا أنها في الحالة السورية غير صحيحة، وفي حال هؤلاء الشباب ومغادرتهم بطريقة أو بأخرى نجدها أبعد عن ادّعاء تلك الأسباب، فكلّ من غادر، وهو يعلم ماذا ينتظره في الطريق، وكم يحتاج إلى سيولة، تفرض عليه بشكل يقيني أن يحمل في جيبه وسطياً ما يعادل مليوني ليرة سورية وأكثر، أما كيفية حصوله على مبلغ كهذا، فهناك طرق كثيرة يساعد عليها أولياؤه وهم يدفعون به للسفر خلاصاً من خدمة في الجيش، ونجاة من موت محتمل، وهم لا يعلمون أنهم بسلوكهم هذا يفقدون أبناءهم أحياء، ويدفعون بهم إلى مجهول مقنّع بصفات يسيّلونها كي تُرضي ضمائرهم بما هو أشدّ وأقسى، فمن باع ما يملك، أو سحب مدخراته، أو اقترض، وكلّ هذا يؤكد أنه يحمل فعلياً مبلغاً كبيراً، ولا يستطيع التحرك أصلاً من مكانه في بلده أو قريته في سورية قبل أن يؤمّن المبلغ في جيبه، وهذا بطبيعة الحال ينفي الادّعاء بالجوع وقلّة فرص العمل وإلى آخر هذه المبرّرات غير الواقعية...

أعرف أنّ العاطفة والخوف تفرض على الأهل دفع أبنائهم للهجرة بأيّ طريقة وبأيّ وسيلة، يتصوّرون أنّ في ذلك نجاة أبدية لهم، لكن بعضهم سقط على الطريق، وبعضهم ابتلعه البحر، وكثير منهم في متاهات المجهول يتخبّطون بحثاً عن شيء يقيم الأود معنوياً ومادياً، وبعض كرامة...

يدفعون بهم للهجرة واللجوء هرباً من موت محتمل، إلى موت آخر أشدّ مرارة وقسوة.

مما يؤلم حقاً وأنا أتابع مشاهدة عشرات الألوف من الشباب أرتالاً في بلاد الشتات، يعانون من الذلّ والازدراء والإهانة، وهذا مسؤول في حكومة «هنغاريا» يقول: «لم أر في وجوه شباب لاجئين، وهم ممتلئين صحة وشباباً ما لا يدلّ على أنهم تواقون إلى اللجوء فراراً من حرب، بل أشعر أنّ في وجوههم مشاريع أخرى لا أستطيع أن أحدّد ماهيتها»!

وتقول شرطية نرويجية اصطدمت مع بعض الشباب اللاجئين، وقد تعرّفت على وجه أحدهم من خلال شاشات الفضائيات والأخبار، كان في وقت سابق مع المسلحين المتطرفين، قالت بغضب: (أنتم خونة تركتم بلدكم للغرباء وجئتم لتعلموا أبناءنا الخيانة)!

أيّ ذلّ أصعب من هذا ومهما كان الثمن؟

أتابع مشاهدة عشرات الألوف من الشباب، أصحاء أقوياء، وهم يشكلون «فراراً من الخدمة»، ومن الواجب، إلى جانب الغيرة من بعضهم، وبريق أوروبا، لكن الفرار من الخدمة يبقى السبب الأساس في الهرب مهما حاولوا تزييف الواقع، ومهما خلقوا من أسباب، فأقول في نفسي: ماذا لو انتظم هؤلاء في الجيش العربي السوري، أو في لجان الدفاع الوطني والشعبي، أو حتى في دعم الجبهة الداخلية وتأدية خدمات مدنية، اجتماعية وإنسانية تدعم صمود المقاتلين، وتشدّ من عزائمهم، أقول في نفسي لو أنّ هؤلاء الشباب كانوا الرديف المؤمن بالوطن وعزته وكرامته وحريته، ألم نكن بهم ومعهم بحال أفضل؟

لا شك في أنّ هذا يشكل مشكلة كبيرة تقع المسؤولية فيه على الجميع، ويتطلّب دراسة واضحة وصريحة ومعمّقة، تبحث عن الأسباب وتعمل على العلاج، وكما أقول بكلّ مناسبة، نحن الآن في أزمة حرب أعتبرها صغرى أمام الآتي بعد الخروج من الأزمة، إذا علينا جميعاً العمل والبحث لتصويب مسارات كثيرة في سلوكنا الوطني والاجتماعي، وأهمّها تربية الوعي وتفعيل الانتماء للوطن.

# هزيمة الخصوم وخصوم الهزيمة

■ شهناز صبحي فاكوش

شهداؤنا على امتداد جغرافيتنا السورية، يكتبون بدماء قلوبهم حروف نصر الوطن. رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، دماؤهم تبشّر الدنيا بهزيمة خصومهم. معهم شعب تحمّل وصبر، فاق أيوب بصبره، وهو يقدّم أبناءه فداءً لعزة وسيادة أرضه.

تحدّوا المرارة التي ملأت حلوق الأطفال والشيوخ، يشحذون هممهم بتعبٍ كلّ السنوات الماضية، ليرسموا فرحاً مختلفاً في عيونهم، فيصبح الخوف والرعب والبكاء، الذي ملأ قلوبهم، طرائد يقضي عليها النصر المكتوب بالدماء الطاهرة.

واقعةُ هزيمة الإرهاب وخصوم وطني، الذين يدّعون التحالف ضدّه، وهم يخنقوننا اقتصادياً، يسمّونهم إرهابيين ويرفدونهم بالسلاح والقتلة، ويفرزونهم لاستكمال مؤامرتهم، بين معتدل وإرهابي، وكلهم يفجّر ويحمل السلاح ليقتل الأبرياء المدنيين.

أما خصوم الهزيمة، فهم مبعثرون بين من دعوا أنفسهم أصدقاء الشعب السوري، ونصّبوا أنفسهم خصوماً للهزيمة التي يُمنى بها أعداء الوطن، يسخّرون الإعلام لنصرتهم، ويجيّشون الطابور الخامس لإشاعة إفراغ الدولة السورية من أبنائها.

خصوم الهزيمة، مقاولو الثورة المزعومة، والابن الشرعي للأيام القاتلة الفاجرة. ما زالوا يدّعون الحرية الخرقاء، التي دمّروا بها البلاد، وقتلوا وشرّدوا وهجّروا العباد. يتسابقون على تمزيق الأرض، كالجراد القاتل لا يبقي ولا يذر.

الهزيمة تصيب «داعش» المحمي أميركياً، و«جبهة النصرة» حبيبة الكيان الصهيوني، هذه التي تعلن أن لا ضير من تحالفها مع الشيطان، من أجل تحطيم الدولة السورية. ويطفو معهم ما يُدعى «جيش الإسلام». شراذم تقزّز النفس، وتثير الاشمئزاز في النفوس.

سيبقى الشعب السوري صامداً، رغم تجرُّعه مرارة السنين العجاف الخمس التي قاربت على الاكتمال، ولن يضيره تمامها لسني يوسف السبع طلباً للنصر، لأنه يعلم أنه في النهاية سيرى الكواكب والشمس والقمر له ساجدين.

إحساس المرارة يلفّه الليل البهيم، سينتهي رغم ما أترعت به الذاكرة الحزينة من متناقضات، في مفردات الزمن المهدور على شواطئ العمر، بين الحقد والتسامح والحزن والفرح ومشاهد الهمجية التي اغتالت الإنسانية في النفوس المتعبة.

اليوم بدأنا نتلمّس أنّ الأسوأ قد مضى، فحليفنا الروسي أعلن صراحة أنه على أهبة الاستعداد للوقوف معنا بجدّية ضدّ الإرهاب، لا كالتحالف الخلّبي الذي بدا واضحاً أنه نفاق سياسي كاذب، وإلا لكان التنسيق مع سورية، الأكثر فاعلية في محاربته.

يتأرجح داعمو الإرهاب على حبل سورية، فيبقى الأسد ليرحلوا هم، كما كلّ من مضى. يراهنون على رحيله قبلهم، فيبقى ويرحلون. ببساطة لأنه أصيل بين شعبه وهم طارئون. عشقه للوطن كعشق شعبه. فلأجل ذات الوطن نقاتل. ما أصل وطنهم؟

هزيمة الخصوم تجعلنا نرمي بأحزاننا في أول حاوية تصادفنا، ونرمي معها كلّ عوامل التعرية التي جرّدت حياتنا الآمنة من لبوسها، وستمضي بنا عجلة الحياة مندفعة بلا توقف. تتجاوز المصاعب والعراقيل، حتى المصائب الوطنية والشخصية.

سنعقد قران العمل على الوطن، محتفين بقيامة جديدة، نرتق الثقوب والفجوات، وخروم الذاكرة لدى أطفالنا، حتى ندفن فيها إرثاً غزّاً. فلا يتذكر أحد مَنْ القاتل ومن القتيل. ونعلمهم كيف يمكننا استقبال العمر المنتظر، ليكون جميلاً ولو بمراحل.

وطننا الجميل سيّد الأبجدية، سيعود جميلاً. كم من مدن في التاريخ هُدمت، وكم منها احترق متفحّماً وصار رماداً. وبعد النصر عاد محبّوها الشرفاء، من هَجَرَهَا هرباً من الإرهاب، ومن رابط فيها ودافع، ليبنوها، ولو بالتقسيط، لتبدأ رحلة العمر المنتظر.

لم نمتهن الحزن لكنه فُرض علينا، استأثر بنا وجعلنا ندور في فلكه. التصق بنا حتى حسبناه ثوباً أُجبرنا على ارتدائه، رغم كلاحة لونه وبهاتته. لكن بعد هزيمة الإرهاب وخصومنا المساعدين له والداعمين، سنمتهن الفرح جميعاً ونعمِّمه.

أما خصوم الهزيمة، فلن يجدي لهم نفعاً مساعدة أطرافها، أو الدفع بها لتتبدّل. فليس للهزيمة إلا وجهاً واحداً. في بلد عاش الدهر كله بأقداره الكثيرة، سيداً بذاته. يبسط كفيه على أحبابه منهياً دور خصوم الهزيمة، في كلّ مراحل آلاف عمره.

وطننا الغالي سيتعافى ليتسيّد عرش الرضا، مع شعب يتشابك معه لأحقيته فيه، لافظاً الغرباء الأعداء والقتلة المأجورين. تنعكس خطوط تضاريسه على وجوه أبنائه شاهدة على عظمته. فهم فيه بلا اختيار... لكنهم لو خُيّروا لما استبدلوه بجنان الدنيا.

جنان الوهم التي أغروا بها أبناء الوطن، يستجرونهم ليفرغوا الأرض من أبنائها، ناسين أنّ أشجارها وأحجارها تلفظ النار لتحرقهم، أينما اقتربوا منها. فكلّ ما في وطني مقاتل. فليسألوا هولاكو وتيمور... حتى لو صار فيه أكثر من برج للرؤوس.

وطني الذي يهزم خصومه وخصوم الهزيمة، مليء بالآمال، مترع بالرجاء. يفتح بنوكاً لأمنيات أطفاله وشبابه. تزخر بالإبداع، ترسم التفاؤل من خيال وقّاد بريشة فنان. تضمّد الجراح، تستثمر خير النفوس، لتعود سفن البحر إلى شواطئنا الحنون.

كلّ الصمود السوري الأسطوري الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، جعل حلفاء سورية يتفانون معها في مواقفهم، لأنهم يحترمون شعباً يدافع عن سيادته. يضحّي من أجل وجوده. يتمسّك بشرعية رئيسه وحكومته. لا يفرّط بدولته ذات السيادة.

لا يفك شيفرا وطني إلا أهله، فكم راهنت على أنه الرقم الصعب بل الأصعب. لن أخسر رهاني على وطن، كلّ ذرة تراب فيه نارٌ تلظى على أعدائه. احترف إنّهاء حياة الغزاة على أرضه. عشّش عشقه في نفوس أبنائه وأرواحهم فافتدوه بالدماء.